التأسيس المعرفي لدراسة جرائم حزب البعث في العراق

مقدمة تعريفية

المقدمة

توجد عدة دراسات قُدمت ومازالت تُقدم عن النازية والستالينية بوصفهما نظامين قد مارسا القمع، وربما لم تتوقف تلك الدراسات إلى لحظة كتابة هذه الدراسة. إن دراسة الماضي معرفياً تساهم إلى حدٍ ما بمنع الوقوع في أخطائه مرة أخرى، لكن، في العراق، فإن الدراسات التي تتصف بالتحليل المعرفي للبعثية التي أقامت نظاماً شبيهاً بالنظم الشمولية الأخرى، مثل: النازية والستالينية محدودة جداً، وربما هذا ما يتحمله الباحثون، كمسؤولية معرفية أولاً، ومسؤولية أخلاقية ثانياً، لكشف مسؤولية حزب البعث ودوره في التأسيس للخراب الذي شهدته الدولة العراقية .

إن الكتابة عن جرائم البعث في ظل حكمه يفترض أن تحفز الآخرين للكتابة عنها بعد انهيارها، وذلك لمستجدات الوثائق التي توفرت لاحقاً، إلا أن حتى المؤلفين الذين اشتغلوا على فضح جرائم حزب البعث قبل سقوطه، لم يشتغلوا أو يضمنوا ما كتبوه بوثائق جديدة بعد سقوطه.

وانطلاقاً مما سبق، فثمة الحاح سؤال عن ما الذي حصل للعراق؟ وكيف حصل؟ ولماذا حصل؟هذه هي الأسئلة التي تشغل الباحث الساعي الى فهم النظام السياسي الذي حكم العراق ماقبل ٢٠٠٣. إن ما حصل كانت إجابته واضحه، وهناك دراسات عديدة انشغلت بذلك، أما لماذا حصل؟ فهذا سؤال يحتاج الى بعد تأويلي لأجل الإجابة عنه، أما كيف حصل؟ فسيسعى الباحث الإجابة عنه من خلال فهم الأسس التي إرتكز إليها حزب البعث في العراق، لكن كيف يتم دراسة الأسس من دون الاهتمام بأرشفة وتوثيق ما جرى، فضلاً عن دراسته، فبعد مرور أكثر من سبعة عشر عام على سقوط نظام صدام، لم تُقدم دراسة للوثائق التي تم اكتشافها، إلا من خلال الجهود الفردية لبعض الباحثين، وحتى المؤسسات التي عُرف عنها توثيقها لجرائم البعث لم تكمل مشروعها –مثل مؤسسة الذاكرة أو مشروع كنعان مكية–، فضلاً عن السؤال الذي يُطرح ما دور دار الكتب والوثائق الوطنية على الرغم من تسلم ادارتها شخصية مهنية عالية وهو سعد اسكندر من ٢٠٠٤–٢٠١٥م ؟ ما دور المؤسسات الاكاديمية في دراسة جرائم البعث؟ ولا سيما وجود ضرورة لتضمينها في المناهج الدراسية، لكشف إدعاء زيف من يحاول تجميل تلك الحقبة في ذهنية جيل الشباب.

كل تلك الأسئلة التي طُرحت وغيرها هي مدار البحث، فضلاً عن السؤال المعرفي ما دور المجالات المعرفية في دراسة جرائم البعث، ولا سيما حقل الدراسات السياسية في بيان طبيعة

النظام السياسي الذي عمل على تشكيله حزب البعث، والدراسات الفلسفية في دراسة الخوف، والقسوة، والعنف، والابادة الجماعية، وهي من المرتكزات الرئيسة لحزب البعث، كذلك دراسة الآثار الاجتماعية والنفسية التي نتجت عن كل ما ذُكر، فضلاً عن أهمية الدراسات التاريخية ولاسيما طريقة أرشفة وتحليل الوثائق المرتبطة بجرائم البعث، ولا ينكر دور الأدب والفنون في وصف وتحليل ما جرى. وكل ما ذُكر بحاجة إلى جهود أكاديمية مؤسساتية، وليست جهود فردية.